

## العقل والقلب والدين

كانت العرب تطلق لفظ القلب على قوة الشعور ووجدان اللذة والألم وقوة الفكر والعقل الذي يميز المرء به بين النافع والضار لأن قلب الشيء عندها له ومعضه وخالصه ومن الأول قوله تعالى (١٥٩: ٣) ولو كنت فظاً غليظ القلب (ومن الثاني (٣٧: ٥٠) ان في ذلك لذكري ان كان له قلب) وقوله (٤٦: ٢٢) فتكون لهم قلوب يعقلون بها) وقد جرى عرف بعض الأمم على إطلاق لفظ القلب على المعنى الأول خاصة وجعلوا سلطانه على الأمور الادبية، واكتفوا بالتميز عن الثاني بل لفظ العقل وجعلوا سلطانه في الأمور العلمية، وهو اصطلاح لا تأباه لغتنا التي تجيز تخصيص اللفظ بأحد معانيه وهو ما يجري عليه في هذه المقالة . ثم ان أهل هذا الاصطلاح جعلوا الدين من قبيل الأول حتى صاروا يقابلون العلم بالدين كما يقابلون بين العقل والقلب وذهب الكثيرون الى ان هذه المقابلة مقابلة تضاد فجعلوا العقل خصياً للقلب والعلم عدواً للدين . ورأى آخرون منهم انها مقابلة تباين فجعلوا للقلب حكمه وللعقل حكمه ومنعوا ان يعدوا أحدهما طوره ويحكم غيره

حجة القائلين بالتضاد أن القلب موضع الشعور الوهمي الذي لاحقيقته فهو يخاف مما لا يخاف أو لا يخيف ويرجو ما لا يرجي ويتقحم به الوجدان مواقع الهلكة فيسندل النفس والنفيس فيما لا فائدة فيه فهو سلطان أخرق جائر لا يدين له الا النساء والاطفال ، ومن ضعف عقله من الرجال ، وأعوانه رجال الدين الذين عرفوا في كل زمان ومكان بإقامة هياكل الوهم ، ومعاداة العقل والعلم ، وجعل وجدان الدين ، آلة القهر في أيدي الرؤساء المستبدين ، فاذا كان الشعور بأن في الكون سلطة غيبية ، يجب لها الخضوع والعبودية ، هو أعلى وجدان للقلب وأنفذه حكماً على الجوارح ، واذا كان سائر أنواع شعوره ووجدانه كالخوف والرجاء والبغض والحب والقسوة والرحمة تخدم هذا الوجدان وتؤيده ، واذا كانت تلك السلطة العليا قد تمثلت للوهم الانساني في الجماد وقوى الطبيعة وفي الحيوان فبيدها الانسان ثم تمثلت له في افراد منه فبعدم وعدة نفسه قد ارتقى بذلك ارتقاء

مينا، واذا كان العقل قد كشف لقوم بطلان الوهم في أكثر تلك المظاهر للسلطة الغيبية ولا آخرين بطلانه في جميعها حتى صار المرتقون من البشر فريقين فريقا لا يزال يتقاد لذلك الوجدان ولكنه ينزهه عن التقيدي بأي مظهر من مظاهر الطبيعة ويفند أكثر ما وصفته الأديان به وفريقا يحكم بأن ذلك الوجدان وهم لا حقيقة له ، واذا كان هؤلاء المرتقون أقرب الناس من السعادة في معيشتهم ومن النفع للناس وأبعدهم عن الشقاء الذي تثيره الأوهام التعبدية ، وعمده سائر الوجدانات الدينية ، واذا كان الحس الظاهر الذي هو أقوى من وجدان القلب وفكر العقل يخذل الأول بما ظهر من مخالفة كثير من النصوص الدينية للأُمور المحسوسة وينصر الثاني ويؤيده - أفلا يكون القلب والعقل ضدین في ذاتهما وفي أثرهما في الناس ويكون من الصواب ان يجعل العقل هو الحاكم والقلب هو المحكوم وأن تؤدب الوجدان بسوط الفكر والبرهان ، وندع لحكم العقل والحس جميع أحكام الأديان ، ؟

وأما حجة الداهيين الى أن لكل من القلب والعقل سلطانا مستقلا يباين الآخر ولا يناقضه وأنه يجب أن لا يعدو واحد منهما طوره ويخرج عن حدوده فهي أنه لا ينكر عاقل ان الوجدان أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه كما أن الفكر أمر وجودي ثابت متحقق في نفسه وأن لكل واحد منهما أثرا منه الضار والنافع وأحكاما منها الخطأ ومنها الصواب وأن الانسان في حاجة الى كل واحد منهما فلم يخلق له أحدها عبثا وأنه لا بد لكل منهما من قانون تعليمي تكون الغاية جعل أحكامه وآثاره نافعة للانسان وأن قانون القلب هو الدين الذي يوجه جميع عوامل شعوره ووجدانه الى الخير والفضيلة ويصرفها عن الشر والرذيلة وقانون العقل هو العلم بالأمر كوان الذي يجلي للانسان حقائقها ويمكنه من الانتفاع بها فاذا كان خطأ العقل في بعض المسائل لا يقضي ببطان الثقة به ولا يقتضي إزالة سلطانه وعدم الثقة بسائر أحكامه فكذلك نقول في خطأ القلب واذا بحثنا في تاريخ الانسان نرى أن علماء القلوب الذين جاؤا بقوانين الأديان كانوا أنفع للبشر من علماء الكون الذين وضعوا قوانين العلوم المادية والنظرية فلوفرضنا أن الانسان يستغني بأحد الفريقين عن الآخر لكان يجب أن يستغني عن الفلاسفة

وعلماء المادة دون الدين والمرسلين لأنه قد يكتفي في حياته المادية بتجاربه التي يسوقه اليها الاحساس الفطري عن توسيع دائرة البحث في الجماد والنبات والحيوان وتكثير الصنائع التي يثقي بها الملايين من الناس ليسعد المئات والألوف بشقايتهم ولكنه لا يكتفي قط بترك جبل شموره ووجدانه على غاربه فان حكم وجدان الله والألم أقوى على النفس من كل حكم وهو عرضة للبني والمدوان اذا لم يكن له مؤدب من جنسه يضع له حدودا لا يتعداها . وهذا المؤدب هو وجدان الدين لا ينكر علينا علماء المادة أنه لا يوجد في الخليقة شيء من العبث وان كل شيء خلق كاملا أو كل بعمل الطبيعة فيه الا الانسان فإنه خلق أشد الكائنات المعروفة تقصا وأشدّها استعدادا للكمال وأن كماله يكون بعلمه وكسبه وان كل قوة من قواه الحسية والمعنوية والنفسية والجسدية التي فطر عليها هي آلة من آلات استعداده للكمال يكسبه التدريجي قفوة العقل التي أودعت في الانسان لاجل التمييز بين المعقولات الصحيحة والباطلة ووجدان الدين العام وهو الشعور بالسلطة الغيبية الذي أودع في الفطرة لاجل تأديب سائر الوجدانات بما يزرعها عن الشر ويصرفها الى الخير كل منها قد وجد الحكمة ظهر أثرها في ارتقاء البشر بالتدريج كما هي السنة في جميع قواهم وآثارها . فقول الماديين بالنشوء والارتقاء ظاهر في شؤونهم الدينية والمدنية أو القلبية والعقلية فلماذا نعدّ خطأ البشر في استعمال الوجدان الديني في أطوار الأخطاط موجبا لا نقول ببطلان هذا الوجدان وضرره والحكم بإعفاء أثره ولا نعدّ خطأ العقل في تلك الأطوار موجبا للحكم ببطلان أحكامه وازالة سلطانه تقولون ان رجال الدين قد عاثوا بسلطتهم الدينية فسادا في الدين وخادعوا الناس بالاهام حتى استعبدوهم ونقول انا نرى في كل من رجال الدين ورجال العلم المفسد والمصلح فكم من عالم ببعض خواص الأشياء الطبيعية قد غش الناس بعلمه وكم من مدع للعلم بها قد أضرهم بجهله وهذه العلوم المادية في هذا العصر الذي هو أرق عصورها قد اتخذت آلات لاهلاك العباد وتدمير البلاد وما السحر الذي تصرفون بأنه من أشد الامور افسادا لعقول البشر وضررا في مجتمهم الا من خداع العلم فان كان قد استفاد منه كنهة الوثنية فقد أبطله جميع الانبياء وكان

أقوى الشبه للضعفاء على نبوتهم فهو ضد الدين

ويقول أهل هذا المذهب خصمهم من الماديين اننا نعلم ان أقوى شبهكم على الدين أمران (أحدهما) ما جاء في كتب الوحي بما قام الدليل الحسي أو العقلي على خلافه كآيات التوراة ان الله حكم على الحية بأن تأكل العراب كل أيام حياتها وآيات العهد الجديد للتثليث . ( وثانيهما ) ما فيه من الاخبار الغيبية التي لا دليل عليها كوجود الملائكة والشياطين والمخرج منها سهل . اما الأول فاذا لم تسلموا بتأويل علماء الدين لهذه المشكلات وجزمهم بأن الخطأ واقع فلنا ان تقول ان بعض ما في تلك الكتب مدرج من النسخ وان مقاله الأنبياء في أمور الدنيا لم يقصدوا به بيان حقائق الموجودات وانما قصدوا استخراج العبرة والموعظة وتمثيلها للناس بحسب ما عرفوا من الكون وان كانت معرفتهم ناقصة أو مخالفة للحقيقة ولو ارادوا ان يبينوا حقائق الأكوام مع اصلاح النفوس بقضايا الأديان لا تيسر لهم ذلك ولكن تصديهم له خروجاً عن حدود وظيفتهم المتعلقة بالقلوب والأرواح واثارة للشبه والشكوك فيها فان المسائل الحسية والوجودية تعرف بالنظر والتجربة والاختبار لا بالتبليغ عن الخالق . ذلك ان الانسان مستعد بفطرته للارتقاء الحسي والعقلي بدون تأييده بالوحي واما الارتقاء القلبي أو الوجداني فهو محتاج فيه الى الوحي لأن منه ما يتعلق بالسلطة العليا المدبرة لجميع الكائنات وما يتعلق بحياة بعد هذه الحياة وهذان الشعوران لم يودعا في نفس الانسان سدى كما تقدم بل هما المبدء لناية كما له الروحاني والوسيلة لتهديب جميع أنواع وجدانه وشهوته وبذلك تحسن أعماله وتصلح أحواله فيكون سميداً يقدر تمسكه به . وخلاصة هذا الجواب ان وظيفة الوحي اصلاح القلوب والأخلاق فما يذكر فيه من أمور العالم يراعى فيه معارف المخاطبين ولا يقصد لذاته فلا يضر الخطأ فيه عندهم

وأما الثاني وهو اخبار الوحي بما لا دليل عليه من الحس ولا من العقل فالمخرج منه أن هذا لا يقال إلا إذا كان علم الأنبياء الخاص بهم مستمداً من الحس والعقل ولكنه وحي من الله فاذا كان لكم طريق الى الحكم في كلامهم المتعلق بالمادة المحيوسة فلا طريق لكم الى الحكم في كلامهم المتعلق بالايان بالله وبالعالم الغيب

لأنه ليس من المادة ولا مما يجري على سننها ، ولا المتعلق بالعبادة والحث على الفضائل وبالتنفير عن المعاصي والذائل لأنه من باب الإثبات الذي لا يتأتى فيه الصدق والكذب وإنما يعرف حسن مثله وقبيحه بآثره وقد ثبت بالتجربة أن البشر يكونون على خير وصلاح بقدر تمسكهم به وعلى شر وفساد بقدر اعراضهم عنه وما يدل على أنهم يستمدون هذه الأنواع من العرفان من خالق الكون ومدبره أن علماء الحس والعقل يعجزون على استمداد بعضهم من بعض عن اصلاح نفوس البشر وصرف شعورهم ووجدانهم الى الخير من غير استعانة بشيء مما جاء به الانبياء الذين لا يمكن اقامة برهان على أنهم استمدوا عرفانهم من الناس . وهب انهم استفادوا شيئاً من عرفانهم بالكسب والنظر فما تقول في تلك الآيات وذلك السلطان الذي أعطوه على الأرواح ؟ يقول كثير من علماء المادة ، وادباء الملاحدة ، اننا نقدر على كتابته في الآداب والوعظ لا تعد هذه الأناجيل في جانبها شيئاً مذكورا وفانهم ان في مواضع الانجيل من السلطان على الأرواح ما يعجزا كبر الفلاسفة عن عشر معشار تأثيره في حكمه وفلسفته

هذا ملخص ما يذهب اليه كثير من علماء الافرنج وفلاسفتهم في وظائف العقل والقلب فهم يوجبون صرف العقل والحواس التي هي آلاته الى العلوم الكونية وصرف القلب وشعوره الى الامور الدينية ولا يميزون لاحدها أن يتحكم في الآخر فاذا ظهر لهما أن في العلم أو التاريخ ما يخالف بعض مسائل ذكرت في كتب الدين أو في الدين مسائل تعارض شيئاً من العلم أو التاريخ فانهم لا يرون ذلك مجوزاً لا بطلان أحدهما للآخر أو مستوغاً لتركه لأن صلاح البشر متوقف على صرف كل من العقل والقلب الى ما هو مستعمله لم يوجد واحد منهما عبثاً ولا يترك سدى . وبهذا الرأي كان كثير من اساطينهم متدينين كسبارك أشهر زعماء السياسة وعلماء الاجتماع وباستور من كبار علماء المادة والحياة وتولستوي من علماء الفلاسفة في العقليات والادبيات . و يعترف هؤلاء العلماء ان في دينهم كثيراً من المسائل التي تخالف العقل والعلم والتاريخ وان في كتبها ما هو بشري غير موحى به من الله ويقولون ان هذا نقص في بنية الدين وجسمه لاني جوهره وروحه فهو ينفرد ويتسامع به

لشدة الحاجة الى روح الدين التي لا نغنى للبشر عنها  
وتجدي في هؤلاء العظماء المتحمس في الدين المتهب غيره عليه كعظيم الشعوب  
الجرمانية ( غليوم الثاني ) الذي قال انه لولا الوحي الديني الروحاني لقضي على  
النوع البشري وقال في المسيح انه يملؤنا حماسة واننا لشعر بناره تأجج في أحشائنا  
وقال ان الاعتقاد بأن التوراة ربما كانت مأخوذة من شرائع حمورابي لا يمنع  
من الاعتقاد بوحي الله لموسى وظهوره لبني اسرائيل بواسطة يهني ان استفادة  
موسى من معارف البشر ووقوع بعض الخطأ العلمي والتاريخي في كتابه لا ينافي  
الايان بأنه كان مؤيدا بروح الله ومظهراً لعنايته وعظمتها ولا كون كتابه أعظم صلة  
بين البشر وبين الله كما نطق به العاهل العظيم في كلمة أخرى فهو يكتفي بأن يكون  
النبي الموحى اليه مؤيداً من الله بما يتمكن به من هداية الناس وتوجيههم الى عبادة الله  
تعالى ولا يشترط ان يكون كل ما يقوله موحى به من الله وكل ما يفعله مؤيداً به من الله

ان أصحاب هذا المذهب على اعتقادهم في الوحي والانباء بما لا يرضاه المسلمون  
بل ولا عامة المعتقدين بالنصرانية هم اسلم فطرة واهدى قلباً وأكمل عقلاً من  
عبيد المادة واسرى الخواس الذين زعموا ان الدين من شعور القلب ووجدانه  
الوهمي وأنه يجب على الانسان ان ينسلخ من كل وجدان ، ويعيش حسياً  
كسائر أنواع الحيوان ، استحوذ عليهم حب الشهوات الحسية فانصرفوا اليها  
واسرفوا فيها ، وما أحبوا الانسلاخ من المزايا الانسانية والهداية الدينية الا لانها  
تنعى عليهم اسرافهم فيها وتطالبهم بما هو أرقى منها ، وقد كثرت في متفرنجي  
المسلمين من يقلدهم فيها ، وان لاولئك المتبوعين من علماء الافرنج من العذر  
ما ليس لهؤلاء الأتباع المقلدين لهم على غير هدى لان في الدين الذي نشأ بين  
أهل أولئك المتبوعين من عداوة العقل والحس وعلومها ما ليس في دين هؤلاء  
ولان أولئك قد أوغلوا في العلوم الكونية فشفقتهم عن غيرها كعلوم القلب والروح  
فلم يعرفوا حقيقته على أنهم استعبدوا لأحقروجدان القلب وهو اللذة الحسية وهؤلاء لم  
يتقنوا علماً ولم يحسنوا عملاً بل نزلوا على حكم قول الشاعر

عمي القلوب عموا عن كل فائدة لانهم كفروا بالله تقليداً

\*\*

هذا وإن المسلمين في العقل والقلب والدين منزعا آخر وهالك بيان: يسعد الانسان بعمله ويشقى بعمله وعمله تابع لدعوة وجدانه وفكره يتفقان فيمضي فيه ويختلفان فيجيب دعوة أقواهما سلطانا على النفس، وتستخيرا للعجب، والوجدان هو السلطان القاهر والحاكم المطاع وما الفكر الا وزير يستشار فيدهن للوجدان تارة وينصح له تارة فأكثر الناس يعملون بدعوة شعورهم ووجدانهم لا يعارضهم في ذلك فكر ولا رأي لأن أفكارهم مسخرة مستعبدة لشعورهم ومنهم من يعارض فكره شعوره في بعض ما يدعو إليه فيطيعه تارة ويمصيه أخرى - بطبعه اذا كانت داعية الوجدان ضعيفة ويعصيه اذا كانت قوية

اذا كان كل من الوجدان والفكر مدعاة للعمل الذي به يسعد الانسان ويشقى وكان قد وقع التنازع بينهما وكان لكل منهما شرّة وفترة يطغى في شرته فيسرف، ويترأخى في فترة فيُخفل، فلا جرم أمهما في حاجة الى مرشد حكيم، ذي سلطان مكين، مطاع ثم أمين، يرضيان بحكومته، ويقفان عند نصيحته، مها ظهرت لها آيته، ورفضت فوقها رأيته، وما أراك الا قد عرفت أن هذا المرشد هو الدين وان ظهور آيته للنفس يؤتيها الاذعان، الذي يحيط بالفكر والوجدان، فتخضع له في عامة شؤونها طوعا، وتطيعه بالاختيار سرا وجهرًا، وان ارتفاع رأيته يمثل لها القوة والسلطان، مؤدبا لاهل البغي والعدوان، الذين يشذون عن حكم الاذعان، وبذلك يكون الاعتدال، واستعداد الانسان للكمال، فالدين هو الاستاذ المؤدب للوجدان والفكر معا

الوجدان حق وقد يطغى فيعرض له الوهم، والعقل حق وقد يعرض فيمرض له الجهل، والحواس الظاهرة حق وقد تمتد فتدرك الشيء على غير حقيقته بل كثيرا ما تخطن وهي صحيحة سليمة. ولا غنى للنفس عن الوجدان كالأغنى لها عن العقل والحواس الظاهرة بل أقول انه لا خطأ ولا غلط في الوجدان الصحيح أو في حكم القلب لذاته وإنما يعرض له الوهم من الفكر الذي هو حكم العقل أو من خطأ الحس الذي هو حكم المشاعر الظاهرة وكل من العقل والمشاعر الظاهرة يخطن فيجني بخطئه على القلب وينحرف بالوجدان عن المقصد

القلب يحب الجمال الحسي والجمال المعنوي وهو الجاه والشرف وينفض القبح الحسي والمعنوي - يتأذى بنيل ما يحب ويرجاء نيله ويتألم بما يكره - يحزن لوقوعه ويخاف ما يتوقع منه ، فإذا رجا ما لا يرجى أو خاف ما لا يخاف أو أحب ما لا يحب أو كره ما لا يكره ، فأنما يكون في ذلك تأبعا لحكم غيره إذ ليس من شأنه هو أن يحكم بأن هذا جميل أو قبيح أو ضار أو نافع وإنما الحكم هو الذي يحكم في الجمال والقبح الحسيين والعقل هو الذي يحكم في الجمال والقبح المعنويين . ومما جزم العقل بأن هذا الشيء "يرجى غيره" وذلك الشيء "بما يخشى ضيره" ، قبل القلب حكمه ، وسخر الجوارح للعمل بتصحته ، وقبلا يطغى الوجدان في شيء - إلا ويكون الفكر هو الممدد له في طغيانه ، فكأنما أوغل العقل في التصور والتفكير ، يوغل القلب في الانفعال والتأثر ، فالذنب للعقل والتفكير في طغيان وجدان القلب وتضغه في مجاهيل الأوهام لو فقد الإنسان الوجدان فأسمى لا يحب ولا يكره ولا يخاف ولا يرجو ولا يرحم ولا يقسو تلك بترك العمل والسعي في جلب المحبوب ودفن المكروه وإتقاء الخطر ، وانتظار الظفر ، ومواساة البائسين ، ومراعاة المجرمين ، ولم تكن تصورات العقل وأقيسة الفكر لتغني عنه شيئاً ، فإذا كان ادراك الوجدان في نفسه حقا وكان لا بد منه لبقاء الإنسان وكان العقل مرشداً يخطئ - ويصيب فيصح بعلومه أو يفسد بجهل فعمل يصح أن يقال إنها ضدان ، أو نطلب على حقة الأول منها البرهان ، كيف وهو أقوى الضروريات ، التي هي مقدمات البرهان اليقينية ،

على هذه الطريقة أسماء العقل التصرف في وجدان مبدأ الدين في الإنسان فقد امتاز الإنسان على سائر الحيوان بوجدان كان هو الأعلى في ارتقائه التدريجي بحسب استعداده وهو الشعور بأن في الوجود سلطة غيبية متصرف في العالم . هذا هو مبدأ الدين في البشر وقد كان العقل في طفوليته يبحث عن علل الأشياء وأسبابها فكأنما عجز عن ادراك شيء منها حكم بأنه هو صاحب تلك السلطة وتبعه الوجدان في الأذعان له والمباةة وكان إذا ما ارتقى العقل في شعب من الشعوب أي استعد أفراد منه للارتقاء عن التبعيد للأشياء المحدثثة بمش الله تعالى فيهم من يدعو العقل إلى أعلى مقام في الرفاق ، ليثبته القلب في المباةة والأذعان ، يدعوه إلى التوحيد الذي هو

عبارة عن الجزم بأن كل ما يدركه الحس ويتصرف فيه الفكر فهو من المحدثات التي تدبرها تلك السلطة الغيبية العليا المطلقة التي لا تقيد بشيء ولا تحل فيه ليعلم العقل ان تصديه لعلم حقيقة مصدر تلك السلطة التي يجدها القلب كما تدرك الحواس المحسوسات ضرب من المحال ولذلك سميت إلهما لأن العقل يوله وينحير في البحث عن حقيقتها فإلسان أولئك الدعاة الكرام عليهم الصلاة والسلام يقول للعقل الصحيح انك تجرد في القلب حبا وكرها ورجاء وخوفا فلا تبحث عن حقيقة هذه الوجدانات ولا تحاول الاستدلال عليها لأنها قطعية في نفسها وأما وظيفتك إرشاد القلب الى الاحسان في استخدام الجوارح لها فأولى لك ثم أولى أن لا تبحث عن حقيقة وجدان الدين وكنهه فضلا عن مصدره وإنما عليك أن تستعين به على تدبير مملكة القلب ، على اننا لا نملك الاستدلال على مصدر تلك السلطة الراسخة في الوجدان ، الحكمة امتاز بها الانسان ، وإنما ندعوك الى النظر في وحدة نظام الأ كوان ، والتأمل فيما أودعته من الحكمة والالتقان ، لتوقن أنها لم تكن كذلك الا لوحدة مصدرها ، وعموم سلطان مدبرها ، فتجده عن الظهور في حجر أو شجر أو حيوان ، وعن الحلول في كوكب أو انسان ، والى هذا الارتقاء الديني الاشارة بقوله تعالى (٢ : ٢١٣) كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ) الخ وبه ارتقى العلم نفسه

ألم تر ان العلم كان يسير مع الدين ، والتهديب كان محصورا في الكهنة والأخبار والتسييسين ، نعم ان هؤلاء الزعماء للدين كانوا يقودون الشعوب بوجدانها ويحظرون على عقولها حرية التصرف ولهم المذرف في هذه السياسة لو لم يسرفوا فيها فإنه لم يكن لضبط شؤون العامة من سبيل الوجدان الدين مع ان فكر الاكثريين لم يرتق الى الاستعداد للاستقلال التام والاستقناء عن سيطرة الرؤساء فلما استعد ذلك آتاه الله الدين الاخير الذي هو منتهى النشوء والارتقاء وهو الاسلام الذي وفق بين الحس والوجدان والفكر وآخى بين العقل والقلب فكان هو الهداية التي تم بها الاستقلال ، واستعد بها البشر لنهاية الكمال ،

كان زعماء الدين قد أساءوا التصرف في وجدانات القلب فساموها الافراط والتفريط وشددوا الحجر على العقل فلم يجملوا له رأيا سيئا في آداب النفس ولا في

(المنار ٩:٣) إبطال الاسلام بسيطرة الزعماء والتقليد . توفيقه بين العقل والقلب ١٩٥

فهم العبادة بل ولا في مصالح المعاش ففصلوا بين القلب والعقل وجعلوا العلم عدواً للدين وأقاموا أنفسهم مسيطرين على كل شيء ، ومكسبهم الدين من ذلك بينائه على أساس التقليد . فلما جاء الاسلام كان من أول عمله نسف هذا الأساس وإبطال تلك الزعامة حتى أنه لم يجهل للنبي نفسه شيئاً منها ( ٢٨:٣ ) ليس لك من الامر شيء - ٢١:٨٨ فذكر انما أنت مذكر ٢٢ لست عليهم بمسيطر ) حتى كان يرجع عن رأيه الى رأي أصحابه ثم انه بين العقائد بالبراهين العقلية ، وقرن الآداب والاخلاق بذكر فوائدها الروحية والجسدية ، وعلل الاحكام بالمصالح والمنافع الاجتماعية ، وأمر بالعلم الكوني وجهله أقوى دعائم اليقين ، وأرشد الى صن الكون والاجتماع وجعلها معراج الرقي في الدنيا والدين ، فجعل الحواس والقلب والعقل شركاء في هدايته وارشاده ، لتكون جميع قوى الانسان متحدة في ابلاغه غاية كماله ، وكان كتابه حجة عقلية على حقيقته بما فيه من أرقى العلوم والعرفان ، واعظم السلطان على العقل والوجدان ، مع عصمته من الاختلاف والتناقض ، وحفظه من التغيير والضياع ، وغير ذلك مما لا محل لشرحه هنا . أفيليق بمن عرف هذا الدين ان يقول فيه بنقبض ما جاء به اتباعا لمن فرقوا بين عقل المرء وقلبه ، وبين علمه بالكون وعلمه بنفسه وبربه ، أم يليق به ان يترك هداية هذا الدين ، ويتبع وسوسة الماديين ،

كلا ان من عرف هذا الدين لا يمكن ان يتركه وان كان الذين ضلوا وأضلوا عن هدي القرآن المجيد ، وأضعوا في أعناق المسلمين من وهق التقليد ، قد حججوا عن محاسن هذا الدين ، وبرزوا لهم في مكانها جميع مساوي المتقدمين ، فصدق عليهم حديث الصحيحين « أتركبن سنن من قبلكم شهرا بشهر وذراعاً بذراع حين لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » فهم العلة الكفر من كفر ، وفجور من فجر ، فمسي ان يهيى الله للمسلمين من أهل الاصلاح من يخرجهم من جحر الضب الذي دخلوه ، ويعيد اليهم هدي القرآن الذي تركوه ، أو يهدي غيرهم الى هذه الحقيقة ، ويقيمهم على هذه الطريقة ، فيتآخى بهم العلم والدين ، ويكونون هم الأئمة الوارثين ، وان ذلك لواقع ولو بعد حين ، والعاقبة للمتقين .

(نصحیح) فی ص ٢٠ ص ١٩٢ «تبدل» وصوابه (تمتل) فليصحح